مبارك أباعزي

الشعرية الأمازيغية

(التناص، الانزياح، الانسجام)

الكتاب : الشعرية الأمازيغية (التناص، الانزياح، الانسجام)
الكاتب : مبارك أباعزي
مطبعة : الخليج العربي، 152 شارع الحسن الثاني، تطوان
الهاتف : 25 02 71 39 05
الطبعة : الأولى 2022
رقم الإيداع القانوني : 2022MO5045
الإيداع الدولي : 978-9920-584-42-5
تصفيف : لبنى أقوبعن
تصميم الغلاف : عبد الله زمزكي
لوحة الغلاف : حنان السملالي
الناشـر : مكتبة سلمى الثقافية

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تنويه

هذا البحث في الأصل أطروحة جامعية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ابن زهر/ المغرب. وقد ناقشته يوم 10 يوليوز 2021 لجنة علمية تكونت من الأساتذة: الدكتور محمد حفيظي رئيسا، والدكتور محمد خطابي مشرفا، والدكتور محمد أفقير عضوا، والدكتور أحمد المنادي عضوا.

تقديم

د محمد أفقير

كانت الأمازيغية موضوع اشتغال علمي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضمن حقل علمي اصطلح عليه بـ "الدراسات الشرقية"، ويشار به إلى كل الأبحاث والدراسات التي تتناول الشرق ومجتمعاته وحضارته وثقافة شعوبه وتقاليدهم ولغاتهم، ولم يستثن من ذلك الأمازيغ وسكان شمال افريقيا. أبحاث ودراسات أنجزها ضباط عسكريون أو موظفون بإدارة الشؤون الأهلية التابعة لإدارة سلطات الاحتلال أو رحالة أو أكاديميون، وتندرج ضمن المسعى الكولونيالي الرامي إلى فهم ثقافة هذه المجتمعات من أجل التحكم فيها بسهولة وبسرعة وبأقل الخسائر.

وعلى الرغم من أن أغلب الأبحاث اتجهت صوب دراسة اللغة والقوانين العرفية، باعتبارهما من أهم الجوانب التي تساعد على فهم المجتمع والتواصل معه والتأثير فيه، إلا أن الدراسات الكولونيالية الاستمزاغية لم تترك أي مجال من المجالات أو أي جانب من الجوانب إلا وطرقته وبحثت فيه بشكل من الأشكال، بهدف معرفة كل شيء عن الأمازيغ قد يساهم في ضبطهم وإخضاعكم والسيطرة عليهم .

وكان الأدب الامازيغي، شعرا ونثرا، حاضرا باستمرار داخل هذه الأبحاث، ولو بدا موضوع اهتمامها بعيدا عنه، لأن الأدب ببساطة لا يمكن فصله عن الثقافة فهو يحيط بها من جميع الجهات ويندس في كل التفاصيل، في شكل نص شعري أو قصة أو حكمة أو أغنية أو مثل أو عبارة مسكوكة... ففي هذه الأبحاث يحضر الأدب بشكل غير مباشر من خلال المادة الأدبية المحتجّ بها باعتبارها شاهدا على الفكرة أو الأطروحة التي يدافع عنها المؤلف إما في تضاعيف الكتاب أو في ملاحقه .

وإلى جانب هذا الحضور نجد العديد من المؤلفات الخاصة بالأدب طوال الفترة الكولونيالية همت الجمع والتدوين والتأريخ والدراسة والتحقيق. وبغض النظر عن السياق التاريخي الذي أنتجت فيه وأطّر أفقها ورهاناتها، فإنه لا يمكن إنكار فضلها

الكبير في إنقاذ مادة أدبية شفوية مهمة وإماطة اللثام عن كنوز تراثية مخطوطة بالتعريف والتحقيق والدراسة. ومن هؤلاء الذين أثروا البحث الأدبي الأمازيغي لأكثر من قرن من الزمن: عائلة Basset (روني René وأندري André وهينري Henri)، وإميل لاووست Emile Laoust، وشتوم Hans Stumme، وأرسين غو Arsène Roux، وجيستينار Léopold Justinard، وليونيل گالان Lionel Galand، وبوليت گالان بيرني Paulette Galand-Pernet وبيارناي Samuel Léonard Biarna...

وبعد استقلال المغرب ستبدأ مرحلة جديدة من مسير البحث الأدبي الأمازيغي ولو بشكل بطيء وخجول، بسبب التصورات والخطابات السائدة تجاه هوية المغرب ولغاته، والتي يطبعها الاختزال والإقصاء، وكانت البداية بمبادرات فردية تحركها الغيرة ويسكنها هاجس إثبات الذات والحفاظ على الموروث الأدبي الشفوي والتعريف به والدفاع عنه، ونمثل لهذا المسعى بالمدونات والمختارات التي نشرها أحمد أمزال ومحمد مستاوي والكتابات الأولى لكل من محمد شفيق وعمر أمرير وأحمد بزيد الگنساني، وكلها أنجِزت بشكل فردي وبدون أي تأطير مؤسسي باستثناء بعض أبحاث عمر أمرير بدءا بدراسته عن الشعر الأمازيغي بسوس، التي تعد في الأصل بحثا جامعيا لنيل الإجازة بكلية الآداب بفاس بداية السنوات السبعين قبل أن تخرج في شكل كتاب مطبوع سنة 1975.

كان هذا حال الجذور والمنطلقات الأولى للدراسات والأبحاث في حقل الأدب الأمازيغي. وفي العقود الأخيرة، وبعد الاعتراف الرسمي بالأمازيغية، وما نتج عنه من خطوات وإجراءات على مستوى المأسسة والتعليم، ستعرف الدراسات الأدبية الأمازيغية تطورا جديدا، فمن جهة ما تزال جهود جمع الموروث الأدبي وتدوينه وتوثيقه ونشره مستمرة وبشكل علمي ومنهجي أكثر دقة. ومن جهة أخرى بدأت القطيعة مع بعض أشكال التناول الانطباعي العام وتعميق البحث الأكاديمي في قضايا جديدة في الأدب الشفوي والمكتوب، وتأسيس أفق جديد باستثمار النظريات والمقاربات المعرفية الحديثة .

في هذا الإطار يندرج هذا الكتاب الذي يتناول بعض مظاهر الشعرية في الشعر المغربي الأمازيغي، من خلال ثلاثة عناصر هي التناص والانزياح والانسجام، متخذا من شعر علي صدقي أزايكو مجالا تطبيقيا للاختبار، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه

أعدها الباحث مبارك أباعزي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر بأكادير بإشراف الدكتور محمد خطابي، وسعدت بالمشاركة في فحصها ومناقشتها إلى جانب كل من الدكتور محمد حفيضي والدكتور أحمد المنادي؛ مثلما أسعد اليوم بتقديم هذه الطبعة للباحثين والمهتمين وعموم القراء.

ويتضمن الكتاب دراسة رصينة وبالغة الأهمية في هذا الوقت بالذات، وكان اختيار الباحث للموضوع موفقا إلى حد كبير، بالنظر إلى حاجة الأدب الأمازيغي إلى قراءات ومقاربات جديدة قادرة على تناوله فنيا واستنطاق خصائصه الشكلية والبنائية؛ ولأنه نادرا ما تم الاقتراب من الإبداع الأدبي الأمازيغي في صورته الحديثة/ المكتوبة على مستوى البحث الأكاديمي الجامعي، على الرغم من أنه دشن بدايته منذ السنوات الستين والسبعين من القرن الماضي وحقق تراكما نصيا مهما في مختلف أجناس الأدب الحديث، يأتي الشعر في طليعتها بأكثر من ثلاثمائة ديوان شعري بمختلف تنويعات اللغة الأمازيغية بالمغرب.

ولتلبية هذه الحاجة العلمية الراهنة والملحة وجه الباحث انتباهه نحو الشعر والبحث عمّا يحقق شعريته، وعدم الانشغال أكثر بالبحث عن مضمونه الاجتماعي والسياسي، فتناول ثلاثة عناصر أساسية في شعر علي صدقي أزايكو هي التناص والانزياح والانسجام باعتبارها تمثل، في نظره، أهم مظاهر تحقق شعرية النصوص.

انطلق في مسعاه المذكور من مدخل عام حاول فيه، باقتضاب، تتبع مسير الشعر الأمازيغي المكتوب منذ تجربة محمد مستاوي في السنوات السبعين من القرن الماضي إلى الآن، مصنفا التجارب الشعرية إلى شعر الكتابة، وشعر الحداثة الصوتية - الدلالية، وشعر الحداثة الدلالية، وخصص الشِق الأول من دراسته للتناص الذي تتحقق شعريته في النصوص المدروسة من ثلاثة عناصر هي الدلالة والشكل والوظيفة. وفي الشِق الثاني الخاص بالانزياح حاول الباحث تطبيق اجتهادات جان كوهن وتتبعَ شعرية الانزياح في النصوص المدروسة من خلال ثلاثة مستويات هي الانزياح الصوتي والانزياح الدلالي والانزياح التركيبي. وخصص الشِق الأخير للانسجام معتبرا أن شعرية الشعر المبنية على الانسجام تتأسس على الانقطاع،

متتبعا مظاهره المختلفة في النصوص المدروسة والمستويات التي يحقق بها انسجامه خاصة المستوى الدلالي والتداولي.

انفردت أطروحة الكتاب، تنظيما وتناولا، بالانسجام والتوازن بين فصولها ومباحثها وبين التناول النظري والتطبيقي لقضاياها، وعدم التفريق بينهما كما جرت العادة والعرف في الكثير من البحوث والدراسات، فالباحث لم يقسم بحثه إلى شق نظري وآخر تطبيقي، فيستغرق الشق الأول حيزا كبيرا ويأخذ من جهده ووقته أكثر مما يأخذ الشق التطبيقي، وهو هدف البحث، بل اتبع منهجية أخرى من خلال فصول ومباحث، يتناول في كل مبحث ثلاثة عناصر، المبحث الأول يخصص لتتبع القضية المتناولة في النقد العربي، والثاني للقضية نفسها في النقد الغربي، والمبحث الثالث خاص بتتبع مظاهر القضية المتناولة في شعر أزايكو، وهذا العنصر التطبيقي الأخير هو الذي يأخذ الحيز الأكبر في التناول، وهذا ما يعطي للبحث هويته المحددة في العنوان، فهو بحث في الشعر وليس في التناص، وأن التناص مجرد آلية لقراءة هذا الشعر واستنطاق خصائصه الفنية، على عكس الكثير من البحوث والدراسات الجامعية التي يتحول فيها الشعر إلى مجرد شاهد على قضية من القضايا أو منهج من المناهج، وهذا يدل على أن الباحث استطاع أن يبني تصورا واضحا عن موضوع بحثه قبل إقدامه على التناول، لأن البحث في أساسه فكرة ينبغي أن تختمر في الذهن وتنتج تصورا واضحا قبل أن يكون كتابة وتسويدا للأوراق .

وتميزت أطروحة الباحث أيضا بإعمال متوازن للمرجعيات الغربية والعربية ذات الصلة بموضوع البحث؛ وهذا انعكس إيجابا على أطروحته من جهة الجِدَّة في أسئلتها، وفي الأفق المعرفي الذي تنفتح عليه.

وفضلا عما سبق تميزت لغة البحث بالسلامة نحوا وتعبير، واقتدر الباحث بتملكه لهذه الأداة التعبيرية على تصريف القضايا النظرية والتطبيقية للأطروحة على نحو واضح، ينم عن سعة اطلاعه، واستيعابه لمتطلبات البحث في موضوعه.

وبناء على كل ما ذكِر، فإني أعتبر هذا الكتاب إضافة علمية نوعية للمكتبة المغربية، أرجو أن يتلقاه الباحثون والطلبة والمهتمون وعموم القراء بما يستحق من احتفاء وعناية ومناقشة وحوار، وأهنئ الصديق الأستاذ مبارك أباعزي على هذا الإنجاز.